اغلاط العرب

(تابع لما قبل)

وقال الفرزدق

فلئن سفكتِ دماً بغير جريرةٍ لتخلَّدِنَّ مع العذاب الأَليمِ

هكذا رُوي هذا البيت في ديوانهِ وكانهُ اراد بالأليم صيغة التفضيل من قولك عذابٌ أليم بكسر اللام فجآء بها على أَلْيَم وزان أَغيَد وأَهيَف وانما يجيء أليَم على هذا من مادة (ل ي م) ولا معنى لها هنا ولا ندري كيف يقع هذا من مثل الفرزدق . وقال الآخر انشدهُ ابن الأعرابيّ

ان مضى الحول ولم آتِكُمُ بعَناجٍ تهتدي أَحوَى طِمِرْ

قولهُ بعَناجٍ اراد عناجيج وهي جياد الخيل واحدها عنجوج فحذف اليآء للضرورة كما قال الآخر في اعاصير اعاصر ثم حوّل الجيم الثانية يآء كقول بعضهم في ارانب ارانى ثم ابدل من اليآء تنويناً كما جوارٍ ونحوهِ . قال في لسان العرب وقولهُ تهتدي أَحوَى يجوز ان يريد « بأَحوَى » فحذف واوصل اي حذف الحرف واوصل عمل الفعل الى الاسم ويجوز ان يريد « بعناجيج حُوٍّ طِمِرّةٍ تهتدي » فوضع الواحد موضع الجمع . اه . وهذا الاخير اغرب ما ورد في هذا التخريج لانهُ بمنزلة قولك جآءني رجلٌ طويل وقد اصبح الشطر كلهُ ضرورات . قلنا ولو قال بجيادٍ تقتفي احوى طِمِرْ لاغنى عن ذلك كله . واغرب منهُ قول الآخر رواهُ ابن الاعرابي عن المفضّل

حتى تروحي أُصُلاً تَزَابَيْهْ تَزَابيَ العانة فوق الزارَيْهْ

وهو قول رجلٍ يخاطب ابلهُ وتَزابَه اي تتزابَه مضارع تَزابَى عنهُ اي تكبر وترفّع فعدّى الفعل بنفسهِ والضمير يرجع الى النبات المذكور قبل . والعانة جماعة الحُمُر الوحشية . وقولهُ فوق الزازَيْه اراد فوق الزِيزآءة او الزازِيَة وزان عافية وهي المكان المرتفع فتصرف فيها بما رأيت . ومثل هذا اكثر ما يقع لهم في القوافي اذا لم تتوافق لهم من وضعها كقول الآخر

لقد خشيت ان ارى جدَبّا في عامنا من بعد ما أَخصبّا

اراد جَدْباً واخصب فشدد البآءين وفتح الدال من قولهِ جدَبّا دفعاً لالتقآء الساكنين . ومنهم من يرويهِ جدْبيّا بزيادة بآءٍ مشددة بعد البآء الاصلية كما قال الآخر

جاريةٌ ليست من الوَخْشَنّ لا تلبس المنطقَ بالمَنْنَنّ

اراد الوخش والمتن فزاد عليهما نوناً مشددة . ومن ذلك قول الآخر

باتت علينا بالذنوب تعتلّ جاريةٌ من رهط عبد الأَشهَلّ

فثقل اللام من الاشهل لموافقة تعتلّ . وعكسهُ قول الآخر

حين القت بقُبآءٍ ركبها واستحرّ القتلُ في عبد الأَشلْ

يريد عبد الاشهل ايضاً فحذف الهآء للضرورة . ويتصل بهذا قولهم في المثل ابن عشرين باغي نِسِين يريدون باغي نسآء فجمعوا نِسوة على نِسين على حدّ سَنَة وسِنين وانما يجمع هذا الجمع ما حُذفت لامهُ كسَنَة وقِلَة او فآؤهُ كلِدَة وهذا نادر ولم يسمَع فيما ثبتت لامهُ الاّ في هذه الكلمة ولعلها لم تُسمَع كذلك الا في هذا المثل لوقوعها فيه في موضع الفاصلة[1] .

(١) قال في لسان العرب في مادة (ع ف ر) يقولون ابن عشر لعابٌ بالقُلين

على ان الامثال كثيراً ما يقع فيها مثل ذلك[٢] وهي عندنا اصدق حكايةً للُّغة من الشعر لانها لعموم تداولها ابعد عن التحريف والتبديل ولعل الكثير منها اقدم عهداً من الشعر الذي وصل الينا من كلامهم . وقال شقيق ابن سلَيك الاسديّ

وخافت من جبال السِّند نفسي وخافت من جبال خُوارَزْمِ

اراد خُوارَزْم فزاد عليها رآءً اخرى فجآءت اشبه بلغة « صوتُ صفير البلبلِ » ومثلهُ قول الآخر

وابن عشرين باغي نسين وابن الثلاثين اسعى الساعين وابن الاربعين ابطش الابطشين وابن الخمسين ليث عفرّين وابن الستين مؤنس الجليسين وابن السبعين احكم الحاكمين وابن الثمانين اسرع الحاسبين وابن التسعين واحد الارذلين وابن المئة لا حا ولا ساء قال في لسان العرب يقول لا رجل ولا امرأة ولاجن ولا انس (كذا) ولعل الاصل لاحيم ولا سين يريدون لاجني ولا انسي اي لا شيء * وقد ضبُط لفظ نسين في هذا الموضع من لسان العرب المطبوع في بولاق بتشديد السين نقلاً عن الاصل كما نبه عليه المصحح وجآء فيهِ في ترجمة (ن س و) النسوة ٠٠ والنسآء والنسوان والنسون (وضبط بكسر النون وضم السين) جمع المرأة من غير لفظه و بالهامش قولهُ والنسون كذا ضبط في الاصل والمحكم ايضاً وضبط في النسخة التي بايدينا من القاموس بكسر فسكون ففتح كتبهُ مصححهُ ٠ اه ٠ قلنا الصواب ما ضبط بهِ في لسان العرب في هذا الموضع اي بكسر النون وضم السين مخففةً وما جآء من تشديد السين في الموضع الاول غلط واضح ومثلهُ ما جآء في القاموس من ضبطهِ على وزن درهم فانهُ وهمٌ من الناسخ او المصحح وكانهُ لما ذُكر هناك على عقب النسوان سبق الى ظنه انهُ مقصورٌ منه وليس بشيء لان هذا المثال لم يعهد في شيء من الجموع انما هو ما ذكرناهُ وهو منقولٌ عن هذا المثل

(٢) جآء في الصحاح في مادة (ج ن ي) وفي المثل أجنآؤها ابنآؤها اي الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين كانوا بنوها حكاهُ ابُوعبيد ٠ قال وانا اظن ان اصل المثل جناتها بناتها (اي بضم الجيم والبآء) لان فاعلاً لا يجمع على افعال

بات يقاسي ليلهنَّ زمّامْ والفقعسيُّ حاتم بن تمامْ
مسترعفاتٍ لِصِلِّخْم سامْ

اراد لصِلِّخْم فزاد لاماً قبل اللام المشددة . والصلِّخْم البعير الجسيم الشديد ومسترعفات اي سابقات . ومن هذه المادة روى في لسان العرب لأبي نُخيلة لبلخ مخشيّ الشذا مصلخْمِ قال فضاعف الميم كما ترى وعبارة تاج العروس فزاد ميماً كما ترى والصواب انهُ فك الادغام ولا زيادة هناك لانهُ اراد مصلخِمّ بالتشديد اسم فاعل من اصلخمّ . ومثلهُ قول رؤبة اذا اصلخمّ لم يُرَمْ مصلخْممهْ يريد مصلخمّهُ بفتح الخاء وهو مصدر ميمي منهُ ففكّ ادغامهُ ايضاً للضرورة

وقد اطلنا في الكلام على هذه المفردات الى ما لعلهُ ادّى الى ملل المطالع فنقف منها عند هذا القدر اذ ليس من غرضنا هنا الاحاطة بكل ما جاء لهم من هذا القبيل وانما اوردنا ما اوردناهُ اثباتاً لما قدّمنا من ان ليس

الا ان يكون هذا من النوادر لانهُ يجيء في الامثال ما لا يجيء في غيرها . اه . قلنا وبقي هنا قولهم اجناوُها او جناتها كما اختارهُ صاحب الصحاح بالاضافة فيهما وكلاهما خطأ لان معنى اجناوُها الجانون عليها فحذفت على واضيف الوصف الى الضمير والاضافة لاتكون بمعنى على . على ان هذا من ايسر ما جاء من الشذوذ في الامثال ومن تتبع امثالهم وجد فيها كثيراً من اللفظ الذي لا يمكن ردهُ الى اصل او لا يستقيم تأويله على وجه صحيح كقولهم جئ بهِ من حسّك و بسّك يريدون من جهدك وطاقتك وجاء بالهيء والجيء وفسروهما بالطعام والشراب و يقال لو كان ذلك في الهيء والجيء ما نفعهُ والله اعلم ما مرادهم به وقولهم امضيهُ بأمره بلاً بلاّ وهذا مثل قول بعض عامتنا قص عليهِ الخبر بيلا بيلا وقولهم جديدة في لعيبة (بلفظ التصغير فيهما) قالوا اي جدّه في لعب ووجههُ بعيد كما لا يخفى وقس على ذلك ما لا يحصى مما لا نطيل بسردهِ والكلام عليه

كل ما نطق بهِ البدويّ يُعدّ صواباً ولا كلهُ يجوز لنا متابعتهُ فيهِ والا لأجازهُ البدويّ لنفسهِ في غير ضرورة الشعر بل لكان شائع الاستعمال بينهم ولو في الضرورة . ولكنك اذا تتبعت الالفاظ التي اخذناها عليهم في هذا الموضع لم تكد تجد شيئاً منها في غير الامثلة التي اوردناها وذلك يدلك على ان ليس كل ما استُعمل في الضرورة مقبولاً عند جمهورهم وانما المقبول منهُ ما كان من نحو قصر الممدود وصرف الممتنع واثبات آخر الناقص في الجزم وشبههِ وما شاكل ذلك مما لا يشكل ردّهُ الى اصلهِ ولا يؤدّي الى تنكُّر الصيغ والتباس المعاني . على أنّا نقول ان كل ما ذُكر هنا من الاغلاط انما يُعدّ غلطاً بالقياس الى اصل الوضع والى ما جرت عليهِ العرب في مخاطباتها كما سبقت الاشارة اليهِ لا على معنى ان البدويّ كان يستعملهُ كذلك وهو يعدّهُ صواباً والاّ لكانت هذه المذكورات شائعةً في سائر كلامهِ فخرجت عن كونها غلطاً الى كونها اصلاً يُرجع اليهِ ويُحتَجّ بهِ كسائر الشواذّ المتداولة في كلامهم وهو ما يريدهُ بعض المتعصبين لهم عن جهلٍ ومجازفة . وانما الذي يشفع في تلك الاغلاط ما هو معلومٌ من حال الضرورة عندهم اذ كان الشاعر منهم اكثر ما يقول الشعر اقتضاباً عن غير رويّةٍ فلم تكن لهُ سعةٌ من تخيُّر الالفاظ والترسل في التراكيب فربما تسامح في بعض منطقهِ محافظةً على الوزن او القافية ولهذا لم يكن للمولد ان يقتدي بالبدوي في مثل هذه الضرورات ولا تقوم حجةٌ لهُ في النظم فضلاً عن النثر

(ستأتي البقية)